

رواق المغاربة بالأزهر الشريف في مصر خلال العهد العثماني
**The Maghrebi Portico at Al-Azhar in Egypt during the
Ottoman Era**

صغير عبلة

المركز الجامعي مرسلتي عبد الله تيبازة seghier.abla@cu-tipaza.dz

تاريخ الاستلام: 2025 / 10 / 09 تاريخ القبول: 2025 / 11 / 09 تاريخ النشر: 2025 / 12 / 16

Abstract:

This article examines the Maghrebi Portico at Al-Azhar Mosque, a scientific and cultural center that embodies the essence of Islamic civilization in Ottoman Egypt. The Portico welcomed scholars from every Maghrebi country. During the Ottoman era, it became a dynamic hub of scholarly exchange and cultural activity, primarily due to Maghrebi intellectuals who selected Egypt for their academic and spiritual pursuits. This development followed a series of far-reaching transformations in the Maghreb during the early 16th century, which shifted the axis of knowledge migration toward Egypt and the broader Islamic East. In contrast, al-Andalus had previously been the principal destination for seekers of learning.

Foremost among these changes was the fall of Granada in 1492, which, along with subsequent Christian incursions along the Maghrebi coasts, generated widespread anxiety and instability. Maghrebi scholars, collaborating with those of Al-

المؤلف المرسل: صغير عبلة

البريد الإلكتروني: seghier.abla@cu-tipaza.dz

Azhar, formed the core of the Egyptian intellectual elite and played a significant role in invigorating Egypt's cultural scene. They attained prominent positions across religious and academic spheres, integrated seamlessly into all social strata, and contributed actively to various domains of public life. Furthermore, they continued to serve as an essential bridge between the Maghreb and the East, facilitating exchanges of ideas and traditions.

Keywords: Maghrebi Portico; Al-Azhar Mosque; Ottoman Egypt; scholars; cultural movement.

الملخص:

يهتم هذا المقال بالحديث عن أحد المراكز العلمية والثقافية ذات الطابع الإسلامي بمصر العثمانية، والمتمثل في رواق المغاربة بالأزهر الشريف، الذي فتح أبوابه لاستقبال العلماء والطلبة الوافدين إليه من كل البلدان المغربية، فقد شهد هذا الرواق حركة علمية ونشاطا ثقافيا هاما إبان هذه الفترة بفضل أولئك المغاربة الذين اختاروا مصر كوجهة علمية، ودينية لهم، بعدما شهدت الأقطار المغربية عدة تغيرات على الساحة الدولية مع مطلع القرن 16م والتي ساهمت بشكل أو بآخر في تغيير مسار الحركة العلمية نحو مصر والمشرق الإسلامي، بعدما كانت الأندلس الوجهة الأولى لطلب العلم في فترة سابقة.

ولعل من أبرز هذه التغيرات سقوط غرناطة عام 1492 م، وما أعقبه من تحرشات نصرانية على السواحل المغربية ما أدى إلى خلق حالة من القلق وعدم الاستقرار لدى سكانها، وقد شكل العلماء المغاربة إلى جانب علماء الأزهر نخبة المجتمع المصري وساهموا في تنشيط الحياة الثقافية بمصر وتقلدوا المناصب

السامية في السلك الديني والعلمي بها، واندمجوا مع مختلف طبقات المجتمع وتفاعلوا معها وشمل حراكهم مختلف ميادين الحياة، وظلوا في نفس الوقت يشكلون همزة وصل بين المشرق والمغرب.

الكلمات المفتاحية: رواق المغاربة؛ جامع الأزهر؛ مصر العثمانية؛ العلماء؛

الحركة الثقافية.

مقدمة:

شكلت مصر بأزهرها الشريف خلال العهد العثماني مركز إشعاع ثقافي وديني بارز في البلاد الإسلامية، حيث أضى الأزهر قبلة لطلبة العلم المسلمين من بلدان المشرق والمغرب على حد السواء، الذين قصدوه رغبة في التفقه في أمور دينهم وطلبا للعلم وأخذة على أيدي علماءه، وحفاظا على الهوية الإسلامية التي شهدت موجة من العداء بفعل التحرشات النصرانية خاصة على السواحل المغربية بعد سقوط آخر معاقل الإسلام بأوروبا عام 1492م.

وقد كان للمغاربة حضور هام في الجامع، حيث جرت العادة آنذاك المجاورة به فترة من الزمن أثناء الخروج إلى الحج أو بعد الرجوع منه، بل هناك من أثر البقاء بمصر والاستقرار بها، خاصة وأنّ الجامع قد وقّر لهم رواقا ليسكنوا فيه، بل وصار يحمل اسمهم حيث أطلق عليه تسمية رواق المغاربة على غرار الأروقة الأخرى التي حملت اسم ساكنتها كرواق الشوام والأتراك وغيرهما من الأروقة الأضرية.

نظرا للعدد الكبير الذي كان يضمه هذا الرواق من العلماء والطلبة الوافدين عليه من مختلف الأقطار المغربية، خضع لنظام إداري محكم لتسيير

شؤون ساكنته، وقد تمكن عدد مهم منهم من الوصول لأعلى المراتب به، وصنعوا لأنفسهم مكانة مرموقة في سلك الوظائف العلمية والدينية، كما شاركوا المجتمع المصري في حياته واندمجوا فيه، وهو ما سنتطرق إليه في هذا المقال وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية: متى تأسس هذا الرواق، ومن هم القائمون عليه، وما هي أهم مظاهر تأثير وتفاعل ساكنته مع مختلف ميادين الحياة بمصر إبان العهد العثماني؟

وللإجابة على التساؤلات المطروحة أعلاه اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي والسردى، مع مراعاة تتبع الأحداث التاريخية وتقصي حقيقتها، محاولين بذلك إبراز مكانة ودور العلماء والطلبة المغاربة بالأزهر، ومدى تأثيرهم وتأثيرهم في مصر خلال العهد العثماني.

1. نبذة تاريخية عن جامع الأزهر الشريف :

إن الحديث عن رواق المغاربة يجرنا حتما إلى الحديث عن الأزهر الشريف كونه جزء من هذا الجامع الذي يعتبر من أهم المعالم الإسلامية في المشرق العربي، إذ يعود تأسيسه إلى العهد الفاطمي حيث كان في البداية منبرا للمذهب الشيعي، ومؤسسة رسمية ناطقة باسمه وعنوانا لانتصار الفاطميين وسيادتهم الدينية بعد دخولهم إلى مصر، واقترن بناءه بالقائد جوهر الصقلي بعد وضع مخطط القاهرة بنحو تسعة أشهر وكان ذلك بتاريخ 4 أفريل 970م، ليتم فتحه رسميا وأداء الصلاة به في 22 جوان 972م¹.

ونظرا لتبنيه المذهب الشيعي لم يشهد إقبالا من المسلمين السنيين، وما زاد من تعطيله سقوط دولة الفاطميين ووصول الأيوبيين إلى الحكم بمصر مما أثر سلبا على نشاطه حيث بدأ نجمه في الأفول أمام الإصلاحات الدينية التي قام بها

صلاح الدين الأيوبي الذي عمل على القضاء على المذهب الشيعي، وتقوية المذهب السني بإنشاء المدارس السننية الأربعة (المالكية الحنفية والشافعية والحنبلية). وبوصول المماليك إلى السلطة بمصر أعادوا الحياة للجامع من جديد، وأظهر حكامهم اهتمامهم به، فتنامت منزلته العلمية بعهدهم، وجُددت عمارته، وأقيمت به خطبة الجمعة سنة 1266م بعدما عطلت لمدة قرن من الزمن، وتبرع الملك بدر الدين بيليك الخزندار بعمل مقصورة كبيرة ورتب بها درسا للشافعية وآخرًا للحديث النبوي، فكان ذلك إيذانًا بانطلاقه في أداء مهامه التاريخية المتمثلة في تدريس المذهب السني.²

وقد أولى المماليك اهتمامًا ببناء الأروقة لتوفير مقومات الحياة للراغبين بمواصلة دراستهم به، فكان السلطان المملوكي الأشرف قيتباي المحمودي (1467-1496م) أول من نفذ نظام الأروقة به، وأوقف عليها العديد من الأقباس كضمان لراحة الطلاب، واستمرت العناية بالأزهر من قبل الباشوات العثمانيين الذين قاموا بإصلاحه وتجديد عمارته كما حدث في عهد محمد باشا عام 1595م، والوزير حسن باشا عام 1605م الذي أنشأ رواقًا للحنفية... إلخ.³

وحسبما أخبرنا به الرحالة أوليا جلبي في رحلته فإن عدد الأروقة به بلغ خمسين رواقًا في هذه الفترة، ضمت علماء من مختلف الأجناس،⁴ ونقل لنا نصوصًا تدل على مدى فاعلية هذا الجامع ونشاطه خلال هذا العهد فذكر في هذا الصدد ما نصه "...لا يوجد في مصر جامع له ما للأزهر من جماعة، وإذ هو واقع في عين فعل مصر، أي محط اهتمام مصر، فهو مزدحم بالناس ليلاً ونهاراً، فلا تجد فيه موضعاً للسجود يجتمع فيه اثنا عشر طالب علم ليل نهار، وتطن أصواتهم

كأصوات النحل وهم يرتلون ويحفظون مما يدهش الإنسان وقد انهمكوا في
مباحثات دينية"⁵

كما كان لهؤلاء الطلبة والعلماء دور فعال في المجتمع المصري من خلال
مشاركتهم في فض النزاعات بين الناس، وكانت كلمتهم مسموعة لدى السلطات
العليا وهذا ما نفهمه من كلام أوليا جلبي الذي أشار إلى ذلك قائلا: "وخلاصة
الكلام أن بالأزهر اثني عشر ألف نفر، ولا يحدث في مصر الاضطراب إلا ويخرج
علماء الأزهر ثائرين صائلين، وأصواتهم خطرة جدا "اللهم عافنا" إلى حد أن قاتلا أو
لصا إن اعتصم به تائبا فلا يقدر الحاكم على انتزاعه منه ووضع اليد عليه"⁶.

هذا وقد شكل الجامع الأزهر أهم نقاط تركز النشاط الاقتصادي بمدينة
القاهرة ذلك بانتشار النشاطات الحرفية ذات الطابع الثقافي بجواره كبيع الورق
والكتب،⁷ وكان للمغاربة نصيب من النشاط الثقافي والاقتصادي وحتى السياسي
بمصر خلال هذه الفترة، حيث كان لهم أيضا رواق خاص بهم في هذا الجامع
عرف رواق المغاربة.

2. رواق المغاربة:

يقصد بكلمة الرواق لغة مقدم البيت أو الجناح الأرضي المسقوف منه، أما
في الاصطلاح المعماري فيقصد به جناح من المسجد الجامع مخصص للدراسة وبه
غرف مخصصة لإيواء الطلبة، كما تلحق به مكتبة موقوفة على طلبته.⁸

يعتبر رواق المغاربة من أوائل الأروقة التي أنشئت بالأزهر الشريف، وأكبر
ثلاثة أروقة به مع رواق الشوام والأتراك⁹، حيث يذكر المقرئ أن أنشأ في عهد
السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون على يد وزيره سعد الدين بشير، ثم
قام السلطان قيتباي بتجديده عام 1476م،¹⁰ حسبما أشارت إليه الكتابة

الموجودة على باب الرواق: " أمر بتجديده مولانا وسيدنا السلطان الملك الأشرف قيتباي، على يد الخواجا مصطفى بن الخواجا محمود غفر الله لهما"،¹¹ حيث وصلت أروقة الجامع إلى اثنين وعشرين رواقا- ولعل ذلك قبل زيارة أوليا جلبي لمصر الذي جعلها خمسون رواقا- كانت مقسمة وفق عدة أصناف منها ما هو حسب الجنسية مثل رواق الأتراك والشوام، ومنها ما هو حسب المذهب مثل رواق الشافعية والحنابلة.

بينما جمع رواق المغاربة بين الصنفين فكان معقلا للمذهب المالكي إلى جانب كونه مغاربيا، ونظرا لتبنيه المذهب المالكي استقطب العديد من أهل الصعيد الذين كان أغلبهم على هذا المذهب، واستمر الأمر على هذا الحال إلى أن قام عبد الرحمن كتحدا بإنشاء رواق خاص بالصعايدة عام 1759م، لكن هذا لم يمنع من وجود علاقة حميمة بين الرواقين، فكان يجري بينها تأصيل للعديد من المسائل الفقهية وفق المذهب المالكي إضافة إلى مساندة علماء رواق الصعايدة للقضايا المتعلقة برواق المغاربة.¹²

يقع رواق المغاربة في الجانب الغربي من مقصورة الجامع مما يلي الجنوب على يمين الداخل من باب المغاربة، ويحتوي على خمسة عشر بائكة¹³ محمولة على أعمدة رخامية بيضاء اللون، كما يضم المسكن علوية ومكتبة كبيرة لفائدة الطلبة في مختلف الفنون إضافة إلى مطبخ وبئر وحنفية،¹⁴ أما مساحته فبلغت مائتين وأربعين مترا مربعا، وقد أضحى الرواق مؤسسة ثقافية واجتماعية تقدم خدمات لقاطنيه من الطلبة والعلماء المغاربة، وتصرف لهم الجرايات التي تأتهم من التجار المغاربة في مصر والقاهرة¹⁵، وحسبما ذكره صاحب الخطط التوفيقية

فإن أهله كثيرون من طرابلس وتونس والمغرب والجزائر، وأن الجرايات والمرتببات به لا تصرف إلا على من هو مالكي.¹⁶

3. إدارة الرواق:

تميزت إدارة الرواق بنظام محكم، يقف عليه مجموعة من الموظفين حيث نجد من بينهم:

1.3 شيخ الرواق: تعتبر مشيخة رواق المغاربة من الرتب الإدارية والعلمية العليا¹⁷ فبالرغم من أن المذهب المالكي ليس الأول في مصر إلا أن مشيخته احتلت المرتبة الأولى مدة من الزمن، وهو ما نفهمه من كلام صاحب الخطط التوفيقية الذي ذكر ما نصه "...فكانت المشيخة فيه للسادة المالكية ثم للسادة الشافعية مدة ثم للسادة الحنفية ثم آلت اليوم للسادة الشافعية".¹⁸

كان شيخ الرواق المسؤول الأول عن رعاية شؤون الطلبة والعلماء المنتمون إليه من حيث توفير الأكل والإقامة والراتب،¹⁹ وعليه أن يحن عليهم وينظر في مشاكلهم،²⁰ كما كان بمثابة الناظر الأول عن الأوقاف المحبوسة على الرواق، يعين الشيخ في منصبه بحضور علماء المذاهب الأربعة بالأزهر الشريف الذين يرفعون قرارهم إلى قاضي قضاة مصر فيرفعه هذا الأخير إلى السلطان العثماني للموافقة عليه.

وقد وضعت مجموعة من الشروط للمترشح لهذا المنصب من بينها الكفاءة الإدارية، أن يكون مالكي المذهب ومغاربيا أو من بين علماء الأزهر،²¹ أن يكون أكبر المجاورين به سنا، أن تكون علاقته طيبة مع شيخه، هذا وقد وجدت لجنة إدارية تساعد في بعض الأمور التي تستعصي عليه، ضمت فردين من مختلف أقطار بلاد المغرب فكان بها اثنان من: طرابلس الغرب، تونس، الجزائر، المغرب،

موريتانيا،²² غير أن هناك من ينفي انتماء الموريتانيين لهذا الرواق ويرجع السبب في ذلك إلى وجود رواق خاص بهم يعرف برواق الشناقطة.²³

2.3. نقيب الرواق: هو نائب شيخ الرواق عند سفره أو مرضه، ومن مهام النقيب الاحتفاظ بسجلات الرواق²⁴ التي تضم أسماء الطلبة المقيمين به، والبلدان التي وفدوا منها، وتاريخ التحاقهم به، وكذا أسماء مشايخهم، كما كان عليه توزيع الهدايا والهبات على طلبة الرواق، وكان يلحق بمنصبه هذا بعد انتخابه من طرف علماء الأزهر.²⁵

3.3. الجابي: أو الشاد لأوقاف رواق المغاربة، هو الموظف المسؤول عن تحصيل إيرادات أوقاف الرواق،²⁶ كما كان عليه حفظ الأمن ومنع التعدي على هذه الأوقاف.²⁷

4.3. الكاتب: هو المسؤول عن تنظيم حسابات إيرادات الأوقاف بعد جمعها من الجابي بالإضافة إلى تسجيل نفقات الطلبة.

5.3. خازن الكتب: هو المشرف على المكتبة الضخمة التابعة للرواق حيث تذكر سجلات القسمة العسكرية أنها كانت تضم حوالي ثمانية آلاف مجلد وذلك بفضل نظام الوقف،²⁸ وتحتوي على مخطوطات مكتوبة بالخط المغربي.²⁹

6.3. الفراش: هو القائم على نظافة الرواق وصيانتها.³⁰

7.3. ملأ الرواق: هو المسؤول على ملء صهريج الماء الخاص بالرواق لسقيا ساكنيه ووضوئهم وغسيلهم.

4. مظاهر تفاعل وتأثير علماء رواق المغاربة في المجتمع المصري (ثقافيا،

اجتماعيا، سياسيا):

رصدت لنا المصادر والدراسات التاريخية عددا معتبرا من المغاربة المجاورين بالأزهر الشريف حيث نجد من بينهم العلماء والطلبة القادمين إليه لأخذ العلم، حتى أن الميسورين منهم تحكموا أحيانا في اقتصاد البلاد، وساهموا في تسير أمور الرواق، وفي فروع علمية أخرى كما هو الحال مع عائلة الشرايبي، حيث أشار إليها الجبرتي بقوله: "ومجالسهم مشحونة بكتب العلم النفيسة للإعارة وارتفاع الطلبة يشترونها بأعلى ثمن ويضعونها في الخزائن والخورنقات في أي علم من العلوم... ولا يمنعون من يأخذ الكتاب وإن لم يردده لا يسأل عنه... ربما بيع الكتاب عليهم واشتروه مرارا ويعتذرون من الجاني بضرورة الاحتياج"،³¹ وما نفهمه من قول الجبرتي أن الحركة الثقافية كانت مقرونة أحيانا بالنشاط الاقتصادي وهو ما يظهر جليا بيع الكتب واقتناءها مما يساهم في خلق حركة تجارية بين هؤلاء المغاربة وأفراد المجتمع المصري.

وقد جاورت به أسركبيرة من مختلف الأقطار المغربية على مر العصور كعائلة التاجوري، الترهوني، السوسي، الزواوي، الجزائري، الغدامسي، البشاري، السلوي والفاسي والفيلاي والملياني، التونسي... إلخ³²، هذا وتشير وثائق الرواق إلى أن معظم طلابه كانوا من الليبيين، ويلمهم المغاربة في المرتبة الثانية، ثم الطلبة التونسيون في المرتبة الثالثة، فالجزائريون، ولا وجود لطلبة موريتانيين بالرغم من انتماءهم إلى بلاد المغرب، ذلك أنهم كانوا مستقلين برواق خاص بهم عرف برواق الشناقطة.³³

ومن العائلات المغربية التي ذاع صيتها بالرواق نجد عائلة الأبار، عائلة الدكالي، عائلة الرعيني، الرراكي، الناظوري، الصباغ وعائلي ابن سعيد واليوسي،³⁴ هذا واعتلت أسماء لعائلات مغربية أخرى مشيخته كالشيخ عبد

السلام الشرفي، والشيخ علي السقاط، الشيخ عبد الرحمن بناني، والشيخ أحمد عبد السلام المصوري المغربي، وظل الرواق يشكل همزة وصل بين علماء المغرب والمشرق حيث وُجدت مراسلات منتظمة بين الطرفين كما احتفظ المغاربة بعدة إجازات من المشاركة واحتفظ هؤلاء بدورهم للمغاربة بذكريات ظهرت أثارها في كتب التراجم والفهارس.

هذا وكانت السلطات المصرية تستمّج رأي علماء المشرق بعد أن تأخذ برأي علماء المغرب، كما ناظر المغاربة في مختلف القضايا والمسائل الخاصة بالمجتمع المصري، من بينها تلك المناظرة الخاصة بمسألة شرب الدخان التي تمت حوالي 1140هـ، بين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن زكري الفاسي وبعض علماء الأزهر، حيث أفتى العالم المغربي بتحريم شرب الدخان كونه مادة مضرّة، فأثار ذلك جدلاً واسعاً بين رجال العلم، ليصدر بعده فرمان يمنع شرب الدخان في الشوارع وأبواب الدكاكين بمصر أيام محمد باشا عام 1156هـ³⁵

مارس المغاربة مختلف الفنون الأدبية واللغوية والرياضية والفلكية، وقد أبدى الجبرتي في تراجمه للعلماء المغاربة -خاصة أولئك الذين عاصروهم منذ النصف الثاني من القرن 18م- إعجابه الشديد بنبوغهم وتفوقهم في مجالات تخصصهم، وما يدل على تفوقهم ونباغتهم تلك النصوص الواردة في الإجازات العلمية التي كان يمنحها علماء الأزهر للطلبة المغاربة والتي كانت مليئة بالصفات والألقاب الدالة على الاجتهاد والنبوغ في مختلف فروع العلوم العقلية والنقلية، ومن الألقاب الواردة في تلك الإجازات نجد: الإمام العلامة، الفقيه، المتفّن،

المتقن... إلخ³⁶.

كما أجاز الشيخ محمد مرتضى الزبيدي الذي اشتهر بتبحره في العلوم والتأليف عدة علماء من الجزائريين كآبا راس وحمودة المقاييسي، وغيرهم من العلماء الجزائريين الذين ترددوا على مصر خلال القرن 12هـ، وقيل أنه خص أهل قسنطينة بإجازة تقع في مجلد، وأخرى لأهل الراشدية، كما نجد عالما آخر يدعى محمد الأمير وهو عالم مصري من أصل جزائري قد أجاز آبا راس وغيره من الجزائريين، ومن العلماء المصريين الذين أجازوا علماء جزائريين نجد مثلاً: علي بن سالم السنهوري، الشرمسلي وعلي الأجهوري، محمد البابلي، محمد الزرقاني، أحمد الجوهري، حيث نجد أن الشيخ محمد بن عبد الكريم قد أخذ عن كل من الزرقاني والبابلي، ومحمد بن عبد المؤمن عن الشرمسلي، ومحمد المنور التلمساني عن أحمد المجيري، وعلي بن الأمين عن أحمد الجوهري.³⁷

وشكل الجزائريون برواق المغاربة أحد القنوات المؤثرة والمتأثرة بالمجتمع المصري العثماني، حيث حازوا على مكانة علمية عالية جعلتهم قبلة لمختلف فئاته ذلك لفوتهم في مختلف المسائل الدينية وفي أحوالهم الشخصية، كما أصبح لهم طلبية ورواد من مصر، وقد تولى الجزائريون مناصب هامة بها كالقضاء، فضلاً عن الإمامة والشيخية ونظارة الأوقاف بالرواق.

استمرت الطائفة المغربية في التوافد على مصر خلال العهد العثماني، وكانت تدفع بأبنائها إلى الكتاتيب ثم مسجد طولون ليزودوا الرواق المغربي في النهاية بعدد وافر من الطلبة، وخير مثال على ذلك الشيخ حسن العطار المغربي الذي نشأ بمصر وكان والده عطارا فاشتغل معه في ذلك، وبعدما أتم حفظ القرآن الكريم تمكن من الالتحاق بالأزهر ودرس الفقه المالكي بالرواق المغربي،

وظل يترقى حتى وصل إلى منصب شيخ الجامع عام 1830م واستمر في شغل هذا المنصب مدة ثلاث سنوات.³⁸

وما ميّز هؤلاء العلماء أنهم لم يتخذوا لأنفسهم طبقة بعيدة عن فئات المجتمع، بل اندمجوا فيه وهو ما زاد في تأثيرهم عليه، حتى أن بعضهم اتخذ مصر موطنا له بكل مقوماته،³⁹ وأما البساطة فهي ميزة طبعت جلّ علماء الأزهر، فبينما كان العلماء في الشام ينتمون لعائلات لها باع طويل في العلم كعائلة الرملي والكواكبي، وممن احتلوا موقع الصدارة جيلا بعد جيل، انحدر علماء الأزهر من أصول ريفية أو من أصول اجتماعية متباينة من مختلف المناطق، حملوا معهم ثقافتهم الخاصة فكانوا بهذا أكثر حراكا اجتماعيا مقارنة مع علماء الشام بالرغم من أن المؤسسة الدينية بالشام كانت أكثر هيمنة وتنظيما.⁴⁰

ومن العلماء الجزائريين الذين درّسوا طلبة مصريين بالأزهر نجد على سبيل المثال: الشيخ أحمد بن محمد بن جاد الله الخنان، الشهير بأبي شوشة الذي تتلمذ على الشيخ محمد البليدي، وصار معيدا لدروبه بالأزهر، وانتفع بملازمته، وأجازه إجازة مطولة، كما قرأ على الشيخ محمد القسنطيني بالرواق رسالة أبي زيد القيرواني ونال إجازة منه.⁴¹

هذا وقد سُجل لعلماء الجزائر حضور في تقلّد المناصب السامية بمصر العثمانية كالشيخ زين الدين محمد بن محمود بن محمد الشهير بالعنابي الذي عين عام 1764م في وظيفة النظر والتحدث على وقف جامع الميدان، خلفا للشيخ مبارك بن مسعود المغربي، كما عين الشيخ زين الدين سعد بن محمد الجزائري في وظيفة النظر والتحدث على وقف الزاوية ورعايتها، ثم تنازل للشيخ محمد بوزغابة

الطرابلسي عن وظائفه في الأذان والقراءة بوقف اسكندر باشا، وفي هذا دلالة على قوة الانسجام ورابطة المودة والتآخي التي كانت منتشرة بين علماء الرواق، وعدم تعصب أي طرف من أطرافه لابن بلده.

ومن مظاهر التضامن أيضا تقاسم أربعة من علماء الرواق من جنسيات مختلفة القراءة بعد الظهر في مسجد القاضي عبد الباسط مع الدعاء عقب القراءة، وهؤلاء المشايخ هم: أحمد بن عبد الله التونسي، محمد بن عبد الكريم الجوان المغربي المراكشي، محمد بن عبد السلام الطرابلسي، وعلي عبد الله الجزائري،⁴² غير أن مظاهر التآزر والتضامن هذه لم تمنع من انتشار الحسد بين العلماء، وهذا الجبرتي يخبرنا عن أحمد الجزائري الملقب بأبي العباس -الذي استقر بمصر صغيرا وتلمذ على مشايخها- أنه قد مهر في الأدب والفنون، فأذن له التدريس بالرواق وشاع أمره بين الناس لفصاحته حتى أصبحت له مكانة عالية بمصر، وأشير إليه بمشيخة الرواق، لكن تعصب البعض ضده حال دون ذلك، فحصل بدلا من ذلك على نظارة المدرسة الجوهريّة، وكان لذلّاقة لسان هذا الشيخ وكثرة أتباعه خصوم أيضا⁴³.

امتد تأثير وتفاعل علماء رواق المغاربة بمصر ليشمل الجانب السياسي، وتجلى ذلك في موقفهم من حملة نابوليون على مصر عام 1798م، فأضحت مجالسهم العلمية مجالس تحريض وإلهابٍ للمشاعر ضد المحتلين، ونداء للمسلمين بالثورة ضد نابوليون الذي أدرك خطورة الوضع على مخططاته، فأصدر أمرا بتاريخ 13 سبتمبر 1798م يقضي بترحيل المغاربة من البلاد، لكنهم رفضوا المغادرة وألقي القبض على شيخ الرواق المدعو أبو القاسم المغربي وسجن في القلعة،⁴⁴ بعدما قاد رفقة ابن أخته حسن وأخاه طاهر جيشا أطلقوا عليه اسم

جيش المتطوعين تكونت بنيته من أهل المغرب والحجاز، وخاضوا سلسلة من المعارك ضد الفرنسيين بإقليم الصعيد المصري ألهبوا بها الشرارة في نفوس المصريين في شتي ربوع البلاد، وكبدوا جيش الاحتلال هزائم نكراء.

وقد تزامن ذلك مع ظهور مجاهد مغربي آخر في إقليم البحيرة شمال القاهرة وهو محمد بن الأحرش الدرعاوي المغربي الذي دعا إليه المغاربة وأهل الواحدة، وقاتل الفرنسيين خارج القاهرة وذاع صيته في مصر،⁴⁵ واستمر موقف العلماء في رفض الاحتلال إلى أن تم تحرير البلاد وإنقاذ المخطوطات والتحف التي استولى عليها الفرنسيون.⁴⁶

الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن رواق المغاربة قد أضفى سرحا علميا وثقافيا بالجامع الأزهر وبمصر قاطبة خلال العهد العثماني، وذلك بفضل الإدارة المحكمة والتسيير الحسن كإقرار الرتب والوظائف، وسهر السلطات والميسورين من الناس على خدمة ساكنيه من طلبة وعلماء، وتوفير كل احتياجاتهم الأمر الذي ساهم في خلق الجو المناسب لطلب العلم، والمثابرة حتى أصبح الطلبة المغاربة من أبرز العلماء لما أظهره من جد واجتهاد في الحفظ وأخذ العلم، وهو ما تؤكد تلك النشاطات الثقافية والعلمية التي قام بها العلماء المنتمون إليه، والإجازات العلمية التي أخذوها عن مشايخ الأزهر، وتوافد الطلبة عليهم للأخذ عنهم، كما تبوأ العلماء المغاربة بالأزهر مناصب مرموقة بسلك الوظائف الإدارية والعلمية داخل الرواق وخارجه.

إضافة إلى النشاط العلمي والثقافي للمغاربة في الرواق، امتد تأثيرهم خارجه فشمّل مختلف ميادين الحياة فاندمجوا في المجتمع المصري وأصبح البعض منهم جزء لا يتجزأ منه، وشاركوا المصريين في حياتهم اليومية من خلال البث والإفتاء في بعض المسائل والقضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية، وكذلك بالنسبة للظواهر الاجتماعية المنتشرة كالإفتاء في قضية الدخان، وامتد تفاعلهم ليلبغ الشأن السياسي في بعض الأحيان وهذا ما رأيناه أثناء حملة نابوليون بوناپرتة وموقفهم الراض لها ومجاهرتهم بعداء الفرنسيين، ودعوة الناس للجهاد في سبيل الله من أجل إخراج الفرنسيين من البلاد.

ويبقى باب البحث مفتوحاً في هذا الموضوع لما له من أهمية بالغة تؤكد وتوثق العلاقات الثقافية بين دول المغرب والمشرق الإسلاميين، في فترات سابقة خصوصاً إذا تناولها الباحثون من خلال الوثائق الأرشيفية والمخطوطات المحفوظة في خزائن هذا الصرح العلمي والثقافي، والتي تعتبر المصدر الأساسي والمادة الخام في أي بحث تاريخي، كما أن المغاربة قد تركوا حتماً وراءهم كما من هذه الوثائق والتي قد تكون عبارة عن مؤلفات أو إجازات من علماء الجامع وغيرها.

قائمة المراجع:

- أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، ج1، دار البصائر، الجزائر، (ط.خ)، 2007م.
- أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1998م.

- إسماعيل، زيان، "أوقاف الجزائريين من الكتب على رواق المغاربة بالجامع الأزهر قراءة في فكري المكتبة الأزهرية، مجلة البحوث التاريخية، مج: 6، ع: 2، ديسمبر 2022م.
- البيومي، غانم إبراهيم، رواق المغاربة وأوقافه بالجامع الأزهر، دار البشير، (د.ط)، 2008م.
- أندريه، ريمون، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن 18، ترجمة: ناصر أحمد إبراهيم، ج 1، مصر، ط 1، 2005م.
- أوليا، جلبى، الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش 1082/1091هـ- 1672/1680م، كنوز مصر ومآثرها وعمائرهما واحتفالاتها، ترجمة: الصفصافي أحمد القطوري، ج 2، القاهرة.
- توفيق محمد، لقبايى، "جوانب من تاريخ رواق المغاربة بالأزهر الشريف خلال العهد العثماني (1517-1798)"، مجلة ضفاف، ع 5، المغرب، 2020م.
- حسام، محمد عبد المعطي، المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر، مكتبة الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2015م.
- ربيعة، قريزة، "جوانب من نشاط العلماء والطلبة الجزائريين في رواق المغاربة بجامع الأزهر الشريف خلال القرن 12هـ/18م"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج: 51، ع: 1، جامعة غرداية، الجزائر، جوان 2022م.
- عبد الرحيم، رحيم، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517-1798)، دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، (د.ط)، 1982م.

- عبد الهادي، التازي، "رواق المغاربة بالأزهر الشريف أو البعثة العلمية الدائمة للمغرب بمصر"، دعوة الحق، ع:229، المغرب، ماي 1983.
- علي باشا، مبارك، الخطط الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج4، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط1، (دت).
- فتيحة، مرزوق، "الأزهر الشريف مركز استقطاب العلماء الجزائريين خلال العهد العثماني"، مجلة الإحياء، مج:21، ع:29، أكتوبر 2021م.
- مجاهد توفيق، الجندي، "نماذج من المخطوطات الجزائرية في مكتبة رواق المغاربة بالأزهر الشريف بالقاهرة"، مجلة رفوف، ع5، أدرار الجزائر، مارس، 2016.
- مجاهد توفيق، الجندي، عبد الرزاق (عبد المعز فضل)، "طلاب وشيوخ ليبيا في رواق المغاربة بالأزهر الشريف" دراسة أثرية عمرانية بيليوجرافية في ضوء مجموعة من وثائق وسجلات الرواق النادرة"، دراسات في آثار الوطن العربي، مج:13، ع1، 2010م.
- نيللي، حنا، ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية (ق16م - ق17م)، ترجمة: رءوف عباس، ط.خ، مصر، 2004م.

الهوامش:

¹ توفيق محمد، لقبايي، "جوانب من تاريخ رواق المغاربة بالأزهر الشريف خلال العهد العثماني (1517-1798)"، مجلة ضفاف، ع 5، المغرب، 2020م، ص ص. 109-110.

² المرجع نفسه، ص ص. 110-111.

³ نفسه، ص ص. 114-115.

- ⁴أوليا جلبي، الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش 1091/1082هـ-1680/1672م، كنوز مصر ومآثرها وعمائرهما واحتفالاتها، ترجمة: الصفصافي أحمد القطوري، ج2، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص.102.
- ⁵المصدر نفسه، ص. 101
- ⁶ نفسه، ص. 103.
- ⁷ أندريه ريمون، الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن 18، ترجمة: ناصر أحمد إبراهيم، ج1، مصر، ط1، 2005م، ص ص. 549-550.
- ⁸ البيومي إبراهيم غانم، رواق المغاربة وأوقافه بالجامع الأزهر، دار البشير، (د.ط)، 2008م، ص.6.
- ⁹مجاهد توفيق الجندي، عبد المعز فضل عبد الرزاق، "طلاب وشيوخ ليبيا في رواق المغاربة بالأزهر الشريف" دراسة أثرية عمرانية بيلوجرافية في ضوء مجموعة من وثائق وسجلات الرواق النادرة"، دراسات في آثار الوطن العربي، مج:13 ع2010، 1م، ص.1538.
- ¹⁰ حسام محمد عبد المعطي، المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر، مكتبة الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2015م، ص. 225.
- ¹¹ عبد الرحيم رحيم، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517-1798)، دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، (د.ط)، 1982، ص.99.
- ¹² حسام محمد عبد المعطي، المرجع السابق، ص. 225.

¹³ هي مجموعة من الأعمدة منظمة وفق خط مستقيم وموصولة بأقواس في الأعلى لتحمل السقف يستعمل لفظ البائكة بشكل أساسي في العمارة الدينية وخاصة في المساجد، ينظر: فتيحة مرزوق، "الأزهر الشريف مركز استقطاب العلماء الجزائريين خلال العهد العثماني"، مجلة الإحياء، مج: 21، ع: 29، أكتوبر 2021م، ص. 568.

¹⁴ المرجع نفسه، ص. 568.

¹⁵ إسماعيل زيان، "أوقاف الجزائريين من الكتب على رواق المغاربة بالجامع الأزهر قراءة في فهري المكتبة الأزهرية، مجلة البحوث التاريخية، مج: 6، ع: 2، ديسمبر 2022م، ص. 139.

¹⁶ علي باشا مبارك، الخطط الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج4، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط1، (د.ت)، ص. 22.

¹⁷ فتيحة مرزوق، المرجع السابق، ص. 572

¹⁸ علي باشا مبارك، المصدر السابق، ص. 31.

¹⁹ إسماعيل زيان، المرجع السابق، ص. 139.

²⁰ مجاهد توفيق الجندي، عبد المعز فضل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص. 1538

²¹ فتيحة مرزوق، المرجع السابق، ص. 572.

²² مجاهد توفيق الجندي، عبد المعز فضل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص. 1534.

²³ ينظر: البيومي إبراهيم غانم، المرجع السابق، ص. 3-4.

²⁴ إسماعيل زيان، المرجع السابق، ص. 139.

²⁵ فتيحة مرزوق، المرجع السابق، ص. 573.

²⁶ إسماعيل زيان المرجع السابق، ص. 140.

²⁷ فتيحة مرزوق، المرجع السابق، ص. 573.

²⁸ فريزة ربيعة، بوسليم صالح "جوانب من نشاط العلماء والطلبة الجزائريين في رواق المغاربة بجامع الأزهر الشريف خلال القرن 12هـ/18م"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج: 51، ع: 1، جامعة غرداية، الجزائر، جوان 2022م، ص. 495.

²⁹ مجاهد توفيق الجندي، "نماذج من المخطوطات الجزائرية في مكتبة رواق المغاربة بالأزهر الشريف بالقاهرة"، مجلة رفوف، ع: 5، أدرار الجزائر، مارس، 2016، ص. 266.

³⁰ إسماعيل زيان المرجع السابق، ص. 140.

³¹ عبد الهادي التازي، "رواق المغاربة بالأزهر الشريف أو البعثة العلمية الدائمة للمغرب بمصر"، دعوة الحق، ع: 229، المغرب، ماي 1983، ص. 7.

³² مجاهد توفيق الجندي، عبد المعز فضل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص. 1542.

³³ البيومي إبراهيم غانم، المرجع السابق، ص ص. 3-4.

³⁴ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص. 9.

³⁵ المرجع نفسه، ص ص. 9-10.

³⁶ توفيق محمد لقبايي، المرجع السابق، ص ص. 127-128.

- ³⁷ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، ج2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1998، ص.51.
- ³⁸ حسام محمد عبد المعطي، المرجع السابق، ص ص. 224-225.
- ³⁹ قريزي ربيعة، المرجع السابق، ص ص. 495-496.
- ⁴⁰ نيللي حنا، ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية (ق16م- ق17م)، ترجمة: رءوف عباس ، مصر، (ط.خ)، 2004م، ص. 172.
- ⁴¹ قريزة ربيعة، المرجع السابق ، ص ص. 499-500.
- ⁴² المرجع نفسه، ص ص. 498-499.
- ⁴³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، ج1، دار البصائر، الجزائر، (ط.خ)، 2007، ص. 430.
- ⁴⁴ عبد الهادي التازي، المرجع السابق. ص. 12.
- ⁴⁵ توفيق محمد لقبايي، المرجع السابق، ص ص. 130-131.
- ⁴⁶ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص. 12.